



كعب الأخبار بين الاتهام والإنصاف

محمود محمود حسن أحمد نصار

المقدمة:

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الأولين والآخرين، سيدنا محمد النبي الأمي، وعلى آله وأصحابه، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، وبعد.

فقد استقبل الإسلام منذ أن بدأت الدعوة إليه كثيرًا من الوجوه الكبيرة، التي كانت تنتمي إلى طوائف أهل الكتاب وغيرهم، واستمر هذا إلى عصرنا الحالي، وأحسب أنه بشاهد من الاستقراء صار أمرًا مألوفًا ومعتادًا تمامًا في تاريخ الإسلام وحاضره، ولا يتوقع أن يتوقف في المستقبل، مادامت الحياة قائمة وفق قوانينها المعهودة.

ومن مشاهير القادمين من اليهودية إلى رحاب الإسلام في صدره الأول، أبو إسحاق كعب بن ماتع المشهور بكعب الأخبار، أو كعب الخبر، ذلك اليميني اليهودي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن إسلامه تأخر إلى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه فصار في عداد التابعين، بعد أن فاته فضل كونه من الصحابة رضوان الله عليهم، واشتهر كعب بكثرة ما نُسب إليه من روايات منقولة عن أهل الكتاب، خاصة في تفسير القرآن الكريم، والتعريف بتاريخ الأمم السابقة على الإسلام، وقد ترك كعب الأخبار علامات في الثقافة الإسلامية لا زالت باقية حتى الآن، وإن كنا لا نحس جذورها العميقة المنسوبة إليه بوضوح كاف.

وقد طارت شهرة كعب برواية منقولات أهل الكتاب وضمها مع آخرين في نهر المعرفة الإسلامية، حتى صارت هذه المرويات جزءًا من التراث المعرفي الإسلامي، وتزداد أهمية هذا الجانب حين نعلم أن تأثيره تجاوز مجرد الرواية إلى التأثير في فهم بعض آيات القرآن، واعتبار بعض المرويات الكتابية

أحاديث نبوية، واتكاء طوائف من المتكلمين والصوفية، فضلاً عن الوعاظ على مرويات كتابية، تركت آثاراً غير هينة على الحياة العلمية والفكرية الإسلامية.

وهذه الدراسة محاولة متواضعة لتصحيح مسار البحث في شخصية كعب، وذلك بالتعريف به، وما تناوله المؤرخون حول حياته بما تيسر في مصادرهم، ثم الدخول في شخصية كعب في ميزان المعاصرين، وانتهاءً بالحديث عن كعب بين الاتهام والإنصاف.

وقد تناولت في الجزء الأساسي من هذه الدراسة موقف المعاصرين من كعب، وما ساقوه من اتهامات حول الرجل، وناقشت هذه الآراء مناقشة موضوعية بعيدة عن الميل والهوى، وذلك من خلال ما ذُكر عن كعب من مختلف المفكرين المعاصرين، بغرض الكشف عن هذه الشخصية التي أثرت في الثقافة الإسلامية، سائلاً المولى عز وجل أن يوفقنا ويسدد خطانا ويهدينا إلى سواء السبيل، اللهم آمين، وصلى الله على سيدنا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين.

التعريف به:

هو كعب بن ماتع⁽¹⁾ بن هيسوع، ويقال: هلسوع بن ذي هجري بن هيثم بن سعد بن عوف بن عدي بن مالك بن زيد، ويقال: كعب بن ماتع بن عمرو بن قيس بن معاوية بن جشم بن عبد شمس بن وائل بن عوف بن حمير بن قطن بن عوف بن زهير بن أيمن بن حمير بن سبأ، ويقال: كعب بن ماتع، من ولد زهير سواودي هجران بن ميثم بن مثرة بن يريم بن ذي رعين الأكبر بن سهل بن زيد بن الجموهر بن عمرو بن قيس بن معاوية بن حسن⁽²⁾.

ويظهر من سلاسل النسب المذكورة أن كعباً منسباً في العرب، وأنه لم يكن إسرائيلي النسب من جهة والده، وهو ما يعني أن اليهودية جاءت من ناحية الأمهات، أو أنه من العرب الذين تهودوا في مراحل تاريخية سابقة.

1- "ماتع": بالتاء المثناة من فوق، هو والد كعب الأحبار، التابعي المشهور. أبو زكريا محيي الدين يحيى بن شرف النووي، تهذيب الأسماء واللغات، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 2، ص 68.

2- أبو المنذر هشام بن محمد بن السائب الكلبي، نسب معد واليمن الكبير، تحقيق: ناجي حسن، مكتبة النهضة العربية، القاهرة، ط 1، 1408 هـ / 1988 م، ج 2، ص 540، أبو سعد عبد الكريم بن محمد بن منصور التميمي السمعاني، الأنساب، تقديم وتعليق: عبد الله عمر البارودي، دار الجنان، بيروت، ط 1، 1408 هـ / 1988 م، ج 5، ص 427، أبو القاسم علي بن الحسن بن هبة الله بن عبد الله الشافعي المعروف بابن عساكر، تاريخ مدينة دمشق، دراسة وتحقيق: محب الدين أبي سعيد بن عمر بن غرامة القمري، دار الفكر، بيروت، ط 1، 1417 هـ / 1997 م، ج 50، ص 151، النووي، المصدر السابق، ج 2، ص 68.

وربما يفتح هذا الأمر باب الحديث عن يهود اليمن تحديداً والذين كان كعب منهم وهل كانوا عرباً تهودوا، أو أن لهم مصاهرة مع اليهود أدخلتهم في اليهودية؟ وما شابه ذلك من الاحتمالات.
مولده:

لم يذكر أحد من المؤرخين على وجه التحديد تاريخاً محددًا لميلاد كعب، إلا أننا نستطيع من خلال الروايات التي تحدثت عن وفاته، أن نقول: إنه ولد قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم بسبعة وخمسين عامًا تقريباً، فقد توفي وعمره مائة وأربع سنين، أي: أن مولده كان قبل ميلاد النبي صلى الله عليه وسلم بحوالي تسعة عشر عامًا تقريباً⁽³⁾ وقبل السنة الهجرية الأولى باثنتين وسبعين سنة، وتكون ولادته بالتقويم الميلادي في سنة 548 م⁽⁴⁾.

روى عن النبي صلى الله عليه وسلم، مرسلًا. وروى عنه: عمر بن الخطاب، وصهيب بن سنان الرومي، وابن عمر، وابن عباس، وابن الزبير، وأبو هريرة، وخلائق من التابعين منهم: سعيد بن المسيب، ومالك بن عامر الأصبحي، وعطاء بن أبي رباح، وابن امرأته تبيع الحميري، وآخرون⁽⁵⁾.

وقد ذكره أحد الباحثين⁽⁶⁾ بقوله: "وقد أخطأ محمد فريد وجدي خطأ جسيماً في قوله: إن والد كعب كان من أجلاء الصحابة، وإنه سبق كعباً بإعلان إسلامه في عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم"⁽⁷⁾، ويتابع: "وهذا الكلام لم يقل به أحد، وهو منه مجازفة، علمًا بأنه لم يسند كلامه هذا إلى أي مصدر أو مرجع، وإلا كيف يكون من أجلاء الصحابة، وهو غير معروف ولم يذكره أحد، وأغلب ظني أنه

3- أبو حاتم محمد بن حبان بن أحمد التميمي البستي، الثقات، تحقيق: السيد شرف الدين أحمد، دار الفكر، بيروت، ط1، 1395هـ/1975م، ج 5، ص 333، جمال الدين أبو الحجاج يوسف المزي، تهذيب الكمال في أسماء الرجال، حققه وضبط نصه وعلقه عليه: بشار عواد معروف، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ج 24، ص 193، خير الدين بن محمود بن محمد بن علي الزركلي، الأعلام، دار العلم للملايين، بيروت، 1986م، ج 50، ص 228.

4- خليل إسماعيل إلياس، كعب الأحبار وأثره في التفسير، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1428هـ/2007م، ص 27.

5- ابن عساكر، المصدر السابق، ج 5، ص 151، النووي، المصدر السابق، ج 2، ص 68، المزي، المصدر السابق، ج 24، ص 189-190، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان الذهبي، سير أعلام النبلاء، أشرف على تحقيق الكتاب، وخرّج أحاديثه: شعيب الأرنؤوط، حققه: محمد نعيم العرقسوسي ومأمون صاغرجي، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط 1، 1401هـ/1981م، ج 3، ص 490، أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، تهذيب التهذيب، اعتناء: إبراهيم الزبيق وعادل مرشد، مكتبة تحقيق التراث بمؤسسة الرسالة، بيروت، ج 3، ص 471.

6- خليل إسماعيل إلياس، المرجع السابق، ص 26.

7- محمد فريد وجدي، دائرة معارف القرن العشرين، دار المعرفة، بيروت، ط 3، ج 8، ص 160.

توهم بأحد الأسماء الموافقة لاسم أبي كعب، وهو "ماتع مولى فاختة، كما هو في فتح الباري بشرح صحيح البخاري، وعمدة القاري شرح صحيح البخاري"⁽⁸⁾، ومما يؤكد عدم إدراك والد كعب للإسلام، فضلاً عن أن يكون من أجلاء الصحابة، ما يحكيه كعب عن أبيه قال: "إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة، ودفعه إليّ، وقال اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده، أن لا أفضل الخاتم، فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر، ولم أر بأساً، قالت لي نفسي: لعل أباك غيّب عنك علمًا كتمك، فلو قرأته، ففضضت الخاتم، فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد صلى الله عليه وسلم، وأمته، فجنّت الآن مسلماً"⁽⁹⁾.

نسبه وكنيته:

إن المصادر التي أوردت نسب كعب الأخبار كما سبق سرده قليلة، غير أنها متفقة على أن اسم أبيه: ماتع، وأنه يماني، حميري، وأنه ينسب لبني تميم، وهم: بطن من حمير، وبنو حمير قبيلة من بني سبأ من القحطانية، قال الجوهري: اسم حمير: العرنُجج، وكان لحمير من الولد: الهميسع ومالك، ومن حمير كانت ملوك اليمن⁽¹⁰⁾، وكان يكنى بأبي إسحاق⁽¹¹⁾.

-
- 8- أحمد بن علي بن حجر شهاب الدين العسقلاني، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، قرأ أصله تصحيحًا وتحققًا، وأشرف على مقابلة نسخه المطبوعة والمخطوطة، عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه، محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج 9، ص 334، بدر الدين أبو محمد محمود بن أحمد العيني، عمدة القاري شرح صحيح البخاري، ضبطه وصححه: عبدالله محمود محمد عمر، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1421هـ/2001م، ج 20، ص 305.
- 9- ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 471، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 323.
- 10- أبو العباس أحمد الفلقشندي، نهاية الأرب في معرفة أنساب العرب، تحقيق: إبراهيم الأبياري، دار الكتاب اللبناني، ط 2، 1400هـ/1980م، ص 237، 427.
- 11- محمد بن سعيد بن منيع الزهري ابن سعد، الطبقات الكبرى، تحقيق: علي محمد عمر، مكتبة الخانجي، القاهرة، ط 1، 1421هـ/2001م، ج 9، ص 449، أبو محمد عبد الله بن مسلم ابن قتيبة، المعارف، حققه وقدم له: ثروت عكاشة، دارالمعارف، القاهرة، ط 4، ص 430، أبو بشر محمد بن أحمد بن حماد الدولابي، الكني والأسماء، حققه وقدم له: أبو قتيبة نظر محمد الفارياي، دار ابن حزم، ج 1، ص 305، ابن عساكر، المصدر السابق، ج 5، ص 153، جمال الدين أبو الفرج بن الجوزي، صفة الصفوة، حققه وعلق عليه: محمود فاخوري ومحمد رواس قلعة جي، دار المعرفة، بيروت، ط 3، 1405هـ/1985م، ج 4، ص 203، محمد بن محمد بن عبد الكريم بن عبد الواحد الشيباني ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، تحقيق: أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1407هـ/1987م، المجلد 4، ص 187، المزي، المصدر السابق، ج 24، ص 189، ابن حجر، المصدر السابق، ج 3، ص 471.

لقبه:

يلقب بكعب الأخبار، والأخبار، جمع "حَبْر"، والحبر: بحاء مفتوحة، وبعدها باء معجمة، وهو العالم المحكم للشيء، ومنه قيل لكعب: "كعب الأخبار"، وكان الفراء يقول: "أكثر ما سمعت العرب تقول في واحد "الأخبار" "حَبْر" بكسر الحاء. وكونه حبراً قد يؤكد نسبه الإسرائيلي، ويبعد احتمال أن يكون من متهودة العرب، إلا أن كونه حميرياً خاصة مع ما ساقه بعض المؤرخين من نسب له موصول إلى حمير بن سبأ قد يقلب الآية، ولا يبعد أن تكون ديانة موسى عليه السلام عرفت في هذه الأنحاء في عهد سليمان بن داود عليهما السلام، خاصة وأنه قد ثبت بالقرآن الكريم نفسه إسلام ملكة من ملكات سبأ، وهي المشهورة في الأدبيات التوراتية باسم بلقيس⁽¹²⁾.

إسلامه:

كعب بن ماتع أو كعب الأخبار، ذلك اليمني اليهودي الذي عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، هو أحد مشاهير أهل الكتاب الذين أسلموا في زمن مبكر من تاريخ الإسلام، وإن كان ذلك قد وقع في خلافة عمر رضي الله عنه على الراجح، وقد وردت عدة روايات حول إسلامه، منها ما يتعلق بسبب تأخر إسلامه، ومنها ما يتعلق بالتاريخ، والعهد الذي أسلم فيه.

أما الذي أصر إسلامه، فلعله كان يتشكك في صحة الرسالة قبل أن يتحقق منها عن قرب، فلما رأى الإسلام يعبر المحنة تلو المحنة، لم يجد من العقل أن يتوقف عن الذهاب إلى المدينة، ليتعرف على طبيعة هذا الدين عن قرب وفيما يلي بعض التفاصيل لهذه القضية.

لقد ذكر المؤرخون أن كعب الأخبار عاصر النبي صلى الله عليه وسلم، إلا أن إسلامه تأخر إلى زمن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فصار في عداد التابعين بعد أن فاته فضل أن يكون في عداد الصحابة رضي الله عنهم، مع أن الإسلام كان قد ساد، وانتشر في كثير من أنحاء اليمن في أواخر العهد النبوي، بل تتحدث الروايات الصحيحة عن وفد حمير الذي قدم على النبي صلى الله عليه وسلم، بعد عودته من غزوة تبوك في العام التاسع للهجرة، وأسلم⁽¹³⁾.

12- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري، تفسير الطبري المسمى جامع البيان عن تأويل آي القرآن، حققه وعلق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، ص 341، ابن عساكر، المصدر السابق، ج 50، ص 153، 156، ابن حجر، المصدر السابق، ج 5، ص 322.

13- قال ابن حجر وغيره: "وكنّا أظن أن قوله: "أهل اليمن بعد الأشعريين" من عطف العام على الخاص، ثم ظهر لي أن لهذا العام خصوصاً أيضاً وأن المراد بهم: "بعض أهل اليمن وهم وفد حمير": فتح الباري بشرح صحيح =

وإن قيل: لم لم يشارك كعب في الوفد اليمني القادم للقاء رسول الله صلى الله عليه وسلم في المدينة؟ ولو شارك لكان من المحتمل بقوة أن يسلم كما أسلم وفد بلاده، والإجابة تكمن في أن السلطان في اليمن لهذا العهد كان للنصارى، في حين كان اليهود وأحبارهم أشبه بالأقلية الدينية، ويبدو كذلك أنه كانت هناك قطيعة في هذه الفترة بين فريقَي أهل الكتاب، وهو أمر له خلفية تاريخية تتعلق باضطهاد اليهود للمسيحيين أيام ذي نواس، ثم سيطرة الحبش على اليمن لحساب الرومان.

إن الرواية التي تفسر تأخر إسلام كعب رويت عن سعيد بن المسيب، قال: قال العباس لكعب: ما منعك أن تسلم على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم وأبي بكر، حتى أسلمت الآن على عهد عمر؟ فقال كعب: إن أبي كتب لي كتاباً من التوراة ودفعه إليّ وقال: اعمل بهذا، وختم على سائر كتبه، وأخذ عليّ بحق الوالد على ولده أن لا أفض الخاتم، فلما كان الآن، ورأيت الإسلام يظهر، ولم أر بأساً قالت لي نفسي: لعل أباك غيَّب عنك علماً كتّمك، فلو قرأته! ففضضت الخاتم فقرأته، فوجدت فيه صفة محمد وأمه، فجت الآن مسلماً، فوالى العباس (14).

والرواية مع ما يحوم حولها من شك، وما قد يبدو عليها من تكلف، فإن السبب الذي أوردته في تأخر إسلام كعب، هو سبب معقول في بيئة توارثت الغيرة على تراثها الديني من أن يجتاحه الدين القادم من بيئة غير عبرانية، مع كثرة ما أصاب اليهود من نكبات، نتجت عن التمرد السياسي للدولة بعد دولة في

البخاري، قرأ أصله تصحيحاً وتحقيقاً وأشرف على مقابلة نسخة المطبوعة والمخطوطة: عبدالعزيز بن عبد الله بن باز، رقم كتبه وأبوابه وأحاديثه: محمد فؤاد عبد الباقي، قام بإخراجه وصححه وأشرف على طبعه: محب الدين الخطيب، دار المعرفة، بيروت، ج 8، ص 97، شهاب الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن عبد الله الملك القسطلاني، المواهب اللدنية بالمنح المحمدية، المكتبة التوفيقية، القاهرة، ج 1، ص 582.

14 - ابن سعد، المصدر السابق، ج 9، ص 449، ورواه الفاكهي في أخبار مكة: حدثنا محمد بن إسماعيل قال: ثنا عفان، قال: ثنا حماد بن سلمة، قال: أنا علي بن زيد عن سعيد بن المسيب جاء في الجرح والتعديل، قال: يحيى بن معين: "علي بن زيد بن جدعان ليس بحجة"، وقال فيه أبو حاتم: "ليس بقوى يكتب حديثه ولا يخرج به، وهو أحب إليّ من يزيد بن أبي زياد"، وقال ابن أبي حاتم، سألت أبا زرعة عن علي بن زيد بن جدعان فقال: "ليس بقوى". أبو عبد الله محمد بن إسحاق بن العباس الفاكهي، أخبار مكة في قديم الدهر وحديثه، تحقيق: عبد الملك عبد الله دهيش، دار خضر، بيروت، ج 2، ص 30، أبو عبد الرحمن بن الإمام الكبير أبي حاتم محمد بن إدريس بن المنذر التميمي الحنظلي الرازي، الجرح والتعديل، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، 1372هـ/1952م، ج 3، ص 187.

روايات المؤرخين حول تاريخ إسلام كعب:

لقد ذكر أحد الباحثين كعباً بقوله: "والراجح أن إسلامه كان في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه ثم قدم المدينة في خلافة عمر، فظن قوم أنه أسلم في خلافة عمر، لما خفى عليهم من أمر إسلامه، فذكروا ما شاهدوه، وأما من علم بأمره، فقد حدث هو الآخر بما قد علم، فمنهم من قال في زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ومنهم من قال في خلافة الصديق رضي الله عنه وإذا قيل هذا فأين تذهب بقول كعب للعباس؟ فيقال في جوابه: وهل خفيت هذه الرواية عن الذهبي وأمثاله من الحفاظ والمؤرخين حتى قالوا بإسلامه في خلافة الصديق أو على يد علي رضي الله عنه؟ ومع ذلك فهي رواية ضعيفة لوجود علي بن زيد بن جدعان فيها، ومن حفظ حجة علي من لم يحفظ"⁽¹⁸⁾.

ويقوي هذا المعنى كلام ابن قتيبة في المعارف حيث قال: "أسلم في اليمن، ثم قدم المدينة في خلافة عمر رضي الله عنه"⁽¹⁹⁾ وبنحو هذا المعنى، أشار الذهبي في التذكرة فقال: "أسلم في زمن أبي بكر، وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر"⁽²⁰⁾. وهذا في الحقيقة هو جمع بين الأقوال وإعمال لها، بخلاف ما إذا قلنا إنه أسلم في خلافة عمر؛ لأننا بهذا نهمل أقوال جمهرة من العلماء لا بأس بهم وبأدلتهم، وكما قالوا: إعمال الكلام أولى من إهماله.

ثم يتابع الباحث بسط رأيه بقوله: "وحتى الذين قالوا بترجيح إسلامه في خلافة عمر رضي الله عنه نراهم يترددون في موضع، ويرجحون في موضع آخر، ومن أبرز هؤلاء القائلين، ابن حجر"⁽²¹⁾ فقد نقل القول بإسلامه في خلافة الصديق، ثم نقل بصيغة التضعيف القول بإسلامه في خلافة عمر رضي الله عنها قال: "وأسلم في أيام أبي بكر، وقيل أيام عمر".

ولكني أميل إلى أن إسلامه كان في خلافة عمر رضي الله عنه، خاصة أن ابن حجر⁽²²⁾:

قد رجح إسلام كعب في خلافة عمر، وذلك الترجيح للأسباب التالية:

أولاً: أن الدكتور خليل إسماعيل إلياس استند في ترجيحه لإسلام كعب في زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه على أنه أسلم زمن النبي صلى الله عليه وسلم، ولما قدم المدينة في خلافة

18- خليل إسماعيل إلياس، المرجع السابق، ص 31-32.

19- المعارف، ص 430.

20- تذكرة الحفاظ، ج 1، ص 52.

21- تهذيب التهذيب، ج 3، ص 471.

22- الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 322.

عمر ظن قوم أنه أسلم في خلافة عمر، لما خفي عليهم من أمر إسلامه، فذكروا ما شاهدوه، وأما من علم بأمره، فقد حدّث هو الآخر بما علم. أقول: إن إسلام رجل بمكانة كعب الأخبار لا يمكن أن يقوم على ظن القوم بالوقت الذي أعلن فيه إسلامه، خاصة أن الصحابة والتابعين من بعدهم كانوا حريصين على ذكر كل ما يتعلق بأحوال وأخبار العلماء من مسلمة أهل الكتاب أمثال كعب، إضافة إلى أننا لم نقرأ لأحد من المؤرخين ذكر دوراً لكعب قبل خلافة عمر.

ثانياً: أنه استند إلى رواية ابن قتيبة التي ذكر فيها أنه أسلم في اليمن، ثم قدم المدينة في دولة أمير المؤمنين عمر، علماً بأن هذه الرواية التي استند إليها لم يحدد فيها ابن قتيبة الزمن الذي أسلم فيه كعب قبل قدومه المدينة في عهد عمر بن الخطاب رضي الله عنه وبهذا يمكن أن نقول إنه أعلن إسلامه في اليمن في عهد عمر، ثم قدم المدينة في نفس العهد.

ثالثاً: أنه اعتمد كذلك في ترجيحه هذا على إشارة الذهبي في التذكرة: أن كعباً أسلم في زمن أبي بكر الصديق، وقدم من اليمن في دولة أمير المؤمنين عمر، وهذه ليست قرينة قاطعة، لأن الذهبي ذكر كذلك في سير أعلام النبلاء: أن كعباً أسلم بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم، وقدم من اليمن في أيام عمر⁽²³⁾. وذكر أيضاً في تاريخ الإسلام أن كعباً أسلم في خلافة أبي بكر، أو أول خلافة عمر⁽²⁴⁾.

رابعاً: أننا إذا قلنا إن كعب الأخبار أسلم في خلافة عمر، فذلك لا يعني إهمالاً لأقوال أخرى ترى خلاف ذلك، لأن روايات العلماء والمؤرخين حول أي حدث يؤخذ منها ويرد، فأحياناً تكون الرواية مجافية للحقيقة، وأحياناً تكون متجاوزة للحدث، وأحياناً ثلاثة تكون مبالغاً فيها إلخ... فدور المؤرخ هو التفاعل مع كل الروايات بالنقد والتحليل الموضوعي الذي يقوم على الأدلة والأسانيد، وترجيح رواية على أخرى ليس من باب الإهمال أو الاهتمام، وإنما تتأثر قيمة الرواية بمدى مصداقيتها، بحيث تكون في الصدارة من الاهتمام والترجيح على ما سواها من الروايات حين تكون صحيحة متفقة مع منطوق الأحداث وطبيعة الحدث التاريخي عموماً.

خامساً: وبناءً على ما سبق فإن كعب الأخبار لو أنه أسلم في اليمن، وفي زمن النبي صلى الله عليه وسلم على يد علي رضي الله عنه لسارع وكان أكثر الناس حرصاً على أن يذهب إلى المدينة لينال شرف

-23 - الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 489.

-24 - الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 397.

رؤية النبي صلى الله عليه وسلم وصحبته، وبدلاً من أن يروى عن النبي صلى الله عليه وسلم
مرسلاً، يروى عنه مشاهدة، خاصة أن كعباً كان من علماء اليهود ووجهائهم.
سادساً: أن أغلب المؤرخين ذكروا أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب.
وقيل: إنه أسلم في زمن أبي بكر الصديق رضي الله عنه، أو أول خلافة عمر بن الخطاب
رضي الله عنه⁽²⁵⁾ والخطب يسير في شأن هذا الاختلاف.

والراجع أنه أسلم في خلافة عمر بن الخطاب رضي الله عنه⁽²⁶⁾، فقد روى سيف بن عمر
التميمي، عن أبي حارثة، وأبي عثمان، والربيع بن النعمان البصري قالوا: "ووقع الطاعون بعد بالشام
ومصر والعراق، واستعز (واستقر) بالشام، ومات فيه الناس الذين هم الناس في المحرم وصفر، وارتفع
عن الناس، وكتبوا بذلك إلى عمر، ما خلا الشام، فخرج حتى إذا كان منها قريباً، بلغه أنه أشد ما كان،
فقال وقال الصحابة: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إذا كان بأرض فلا تدخلوها، وإذا وقع بأرض
وأنتم بها فلا عليكم"، فرجع حتى ارتفع عنها، وكتبوا إليه بذلك وبها في أيديهم من المواريث، فجمع
الناس في سنة سبع عشرة في جمادى الأولى فاستشارهم في البلدان، فقال: إني قد بدا لي أن أطوف على

25- ابن الأثير، الكامل في التاريخ، تحقيق أبي الفداء عبد الله القاضي، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1407هـ/
1987م، ج2، ص402، ابن الأثير، أسد الغابة في معرفة الصحابة، ج4، ص187، المزني، المصدر السابق،
ج24، ص189، الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، تحقيق: عمر عبدالسلام تدمري، دار الكتاب
العربي، بيروت، ط2، 1410هـ/1990م، ج3، ص397، الذهبي، تذكرة الحفاظ، دراسة وتحقيق: زكريا
عميرات، دار الكتب العلمية، بيروت، ط1، 1419هـ/1998م، ج1، ص52، الذهبي، الكاشف في معرفة من
له رواية في الكتب الستة وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء إبراهيم بن محمد سبط بن العجمي الحلبي، قابلها
بأصل مؤلفيها وقدم لها وعلق عليها: محمد عوّامة، خرّج نصوصهما: أحمد محمد نمر الخطيب، مؤسسة علوم
القرآن، جده، ط1، 1413هـ/1992م، ج2، ص148، صلاح الدين خليل بن أيبك الصفدي، الوافي بالوفيات،
تحقيق واعتناء: أحمد الأرناؤوط وتركي مصطفى، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ط1، 1420هـ/2000م، ج
24، ص260، شهاب الدين أبو الفلاح عبد الحي بن أحمد بن محمد العكري الحنبلي الدمشقي، شذرات الذهب في
أخبار من ذهب، أشرف على تحقيقه وخرّج أحاديثه: عبد القادر الأرناؤوط، حققه وعلّق عليه: محمود الأرناؤوط،
دار ابن كثير، بيروت، ط1، 1406هـ/1986م، ج1، ص201، الزركلي، المرجع السابق، ج5، ص228.

26- ابن عساكر، المصدر السابق، ج50، ص161، ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، عمرو يونس، دار الكتب
العلمية، بيروت، 1853م، ج5، ص322.

المسلمين في بلدانهم، ولأنظر في آثارهم، فأشيروا عليّ، وكعب الأخبار في القوم، وفي تلك السنة أسلم في إمارة عمر (27).

وإن صحت الرواية فهي قاطعة بإسلامه في خلافة عمر، غير أن الاختلاف الآخر في كونه أسلم في خلافة أبي بكر أو عمر هو أمر يسير، لقصر خلافة أبي بكر وتوالي عهده وعهد عمر رضي الله عنهما، فلعلّه بدأ رحلة الإسلام في خلافة الصديق، ثم أعلن التحاقه بالإسلام تمامًا في خلافة الفاروق. كعب بعد إسلامه:

وبعد إسلامه، قدم كعب على عمر بن الخطاب رضي الله عنه، وسكن المدينة، وصحب عمر وروى عنه، واستأذنه بعد ذلك في الخروج إلى الشام لغزو الروم، فأذن له بالمشاركة في ذلك، فخرج وسكن حمص، فقد ذكرت الروايات أنه: "خرج بَعَثُ الصائفة، فاكتب فيه كعب، قال: فخرج البعث وهو مريض، فقال: لأن أموت 'بحرستنا' (28) أحب إليّ من أن أموت بدمشق، ولئن أموت 'بدومة' (29) أحب إليّ من أن أموت بحرستنا هكذا قدما في سبيل الله، قال: فمضى، فلما كان 'بفخ' (30) معلولاً، قلت: أخبرني، قال: شغلتنى نفسي حتى إذا كان بحمص توفي بها فدفنناه هنالك بين زيتونات أرض حمص، ومضى البعث، فلم يقفل حتى قتل عثمان" (31).

والمواطن التي أحب كعب أن يموت فيها دون غيرها هي أقرب إلى العدو، وإن صحت فهي تشير وتؤكد على حب الرجل للجهاد في سبيل الله وسعيه إليه، وهو طاعن في السن كما سيأتي.

27- ابن عساکر، المصدر السابق، ج 50، ص 157 - 158.

28- "حَرَستًا" بالتحريك وسكون السين وتاء فوقها نقطتان: قرية كبيرة، عامرة، وسط بساتين دمشق على طريق حمص. شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت، معجم البلدان، دار صادر، بيروت، 1397هـ/1977م، ج 2، ص 241، الصفدي، المصدر السابق، ج 2، ص 147، جمال الدين أبو المحاسن، النجوم الزاهرة في محاسن مصر والقاهرة، قدم له وعلق عليه: محمد حسين شمس الدين، دار الكتب العلمية بيروت، ط1، 1413هـ/1992م، ج 2، ص 164.

29- "دُومة" بالضم: من قرى غوطة دمشق غير دومة الجندل. ياقوت، المصدر السابق، ج 2، ص 486.

30- "فخ": بفتح أوله، وتشديد ثانيه، والفخ: الذي يُصَاد به الطير، معرّب وليس بعربي، واسمه بالعربية. طَرَّق، وهو واد بمكة. ياقوت، المصدر السابق، ج 4، ص 237.

31- المزى، المصدر السابق، ج 24، ص 191-192.

إلا أن الرواية تبدو مضطربة، فالرجل الذي تجاوزت حياته المائة عام يصعب أن تكون له مشاركة في الجهاد أو آخر عمره، خاصة أنه لم يعرف عن أحبار اليهود خبرة حربية خاصة، كما أنه لم ينقل إلينا أنه كان في شبابه مقاتلاً له صولاته وجولاته في ساحات الحرب.

كما أن الرواية تفيد بأن كعباً حين خرج كان مريضاً، وأنه لم يلبث أن مات بالشام، وهذا يعني أنه لم يكن في المدينة عند مقتل عمر رضي الله عنه، وهذا خلاف للروايات الواردة في هذه المسألة وخلاف كذلك للرواية السابقة التي تفيد أنه وُلد قبل النبي صلى الله عليه وسلم بتسع عشرة سنة، أو أنه مات عن مائة عام وثلاثة أعوام؛ أي بعد وفاة النبي صلى الله عليه وسلم بعشرين سنة (سنة 31 هـ)؛ أي بعد وفاة سيدنا عمر بحوالي ثمانية أعوام.

ومع هذا، فوجود كعب في الشام كان مؤكداً، حيث كان يجلس في مجالس أميرها معاوية بن أبي سفيان، وكان معاوية يعجب بروايته، وإن كان يخطئه في بعض ما يروى كما سيأتي.

ويظهر من الأخبار أن كعباً كانت له صلة خاصة بالعباس بن عبدالمطلب، رضي الله عنه، وهي صلة موالاته، غير أن صلته بأمير المؤمنين عمر بن الخطاب، رضي الله عنه، أشهر وأقوى، ويبدو أن هذه الشهرة مستقاة من الروايات المنتشرة حول إخبار كعبٍ عمرَ قبل وفاته بقليل، أنه سيموت بعد ثلاث ليال، وهي الروايات التي أدت إلى خوض كثير من المعاصرين في كعب، واتهامه بالمشاركة في المؤامرة التي أودت بحياة الخليفة الراشد الثاني، وهذا سنوضحه في الصفحات التالية من هذا البحث، عند الحديث عن هذه التهمة ومدى صحتها.

وهذه المرحلة من حياة كعب هي التي روى فيها علمًا كثيرًا بثه بين المسلمين، فسمع منه من سمع من الصحابة والتابعين، وصار الرجل بعدها أحد المنافذ التي تسربت منها آثار الثقافة اليهودية إلى تفاسير القرآن وكتب التاريخ وما شابهها.

وفاته:

وردت عدة روايات حول تاريخ وفاة كعب الأحبار أهمها ما يلي:

منها: أنه توفي سنة اثنتين وثلاثين في خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه (32).

-32 ابن قتيبة، المعارف، ص 430، ابن الجوزي، صفة الصفوة، ج 4، ص 203، المزي، المصدر السابق، ج 24،

ص 190، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 471، الصفدي، الوافي بالوفيات، ج 24، ص 260.

ومنها: أنه مات سنة ثلاث وثلاثين للهجرة⁽³³⁾.

ومنها: أنه مات لست بقين من خلافة عثمان بن عفان رضي الله عنه⁽³⁴⁾. وهو تصحيف والصواب لسنة بقيت.

ومنها: أنه مات سنة أربع وثلاثين قبل نهاية خلافة عثمان بن عفان بعام⁽³⁵⁾.

ومنها: أنه مات سنة خمس وثلاثين للهجرة، وهو قول شاذ انفرد به ابن العماد⁽³⁶⁾، قال ابن عساكر: الصواب سنة ثلاث وثلاثين⁽³⁷⁾.

كعب الأحبار "بين الاتهام والإنصاف":

أشار بعض مشاهير كتّاب العصر الحاضر إلى كعب إشارات سلبية تنتقصه، وترميه بالنفاق، وأنه أظهر الإسلام وأبطن خلاف ذلك، وتآمر على الإسلام والمسلمين، ودار جدل حول هذه القضية التي لفتت الباحثين عن جانب خطير في هذه الشخصية التاريخية المهمة، وهي قيمته الفكرية والعلمية في التاريخ المعرفي للمسلمين.

والحقيقة أن هذا يفتح الباب لمناقشة جملة المؤاخذات التي أخذها المعاصرون على كعب، واللافت للنظر أن التآمر لقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه هو أخطرها، واللافت للنظر أيضًا أن توجيه التهم لكعب جاء على ألسنة كثير من المفكرين والعلماء المسلمين خلال العصر الحاضر، ومنهم: الشيخ محمد رشيد رضا، والأستاذ عباس محمود العقاد، والأستاذ أحمد أمين، والشيخ محمد الغزالي، والدكتور سهيل زكار، والأستاذ خالد محمد خالد وغيرهم.

ومع إجلالنا لهذه القامات الفكرية والعلمية واعترافنا بفضلهم على ثقافتنا الحديثة، فإن هذا لا يمنع من مناقشة الآراء والأفكار التي طرحوها، خاصة ما يكون فيه فرصة لإنصاف شخصية على قدر كعب الأحبار.

33- أبو المحاسن، المصدر السابق، ج 1، ص 116.

34- ابن أبي حاتم، الجرح والتعديل، المجلد الثالث، القسم الثاني، ص 161.

35- ابن حبان، الثقات، ج 5، ص 333، ابن الأثير، الكامل في التاريخ، ج 3، ص 45، الذهبي، تاريخ الإسلام، ج 3، ص 424، الذهبي، العبر في خبر من غير، حققه وضبطه: أبو هاجر محمد السعيد بن بسويوني زغلول، دار الكتب العلمية، بيروت، ج 1، ص 26.

36- ابن العماد، المصدر السابق، المجلد الأول، ص 204.

37- المصدر السابق، ج 50، ص 153.

أما الأستاذ رشيد رضا فقد قال عن كعب ووهب بن منبه: "إن قدماء الجرح والتعديل اغتروا بهما وعدلوهما"⁽³⁸⁾، وهو كلام خطير، لا يقف عند حد اتهام كعب ووهب، ولكن يتجاوزهما إلى اتهام علماء الجرح والتعديل بأنهم جميعاً قد انخدعوا بشخصية كعب الأحبار، ووهب بن منبه، وأنهما لم يكونا يستحقان تلك الثقة التي أولوهما، ونتيجة ذلك معروفة، وهي أن من اغتر بكعب ووهب، فمن الممكن أن يكون قد اغتر بغيرهما، فجرّح أهل العدالة، وعدّل المجروحين.

ولا شك أن الأستاذ رشيد رضا لم يقصد إلى شيء من ذلك، لكنه كاف للذب عن كعب ووهب، ولإثبات أن علماء الجرح والتعديل لم يكونوا بهذه الغرارة بحيث نخدعهم جميعاً تلك المظاهر التي يبديها بعض الناس، خاصة أن الجرح والتعديل عندهم لا بد أن يقوموا على بينات وعلامات واضحة ظاهرة، وإلا كان الراوي مجهولاً تردُّ روايته.

ويبدو أن الأستاذ خالد محمد خالد وإن لم يقصد إلى هذا تمامًا يوجه اللوم إلى الصحابة رضوان الله عليهم وعلى رأسهم أبو هريرة، وكأنهم انخدعوا بكعب الأحبار، ونقلوا عنه دون تمحيص وتفنييد وتثبت، كما تأثر به بعضهم فتوسع في الرواية.

وأما الشيخ محمد الغزالي، فقد كرر التهم نفسها، فقال بعد أن ذكر كعباً وحديثه مع عمر رضي الله عنه قبل مقتله: "المجوس واليهود تظاهروا على ارتكاب جريمتهم في جو البراءة السائد بين المسلمين"⁽³⁹⁾.

وقال في موضع آخر: "والغريب أن الفرس والروم واليهود، كانوا يحيون داخل جزيرة العرب حياة عادية، ومن اليسير تحت رداء الإسلام أن يخفوا عداوتهم للدين الذي قضى عليهم، وللدولة التي قامت باسمه... حتى إذا بيت أحدهم شرا أطفأ النار قبل اندلاعها... أليس من المضحك المبكى أن يقول "كعب الأحبار" لعمر: إني أجد مقتلك في التوراة؟!"⁽⁴⁰⁾. وعن قيمة مروياته قال الغزالي: "وكعب الأحبار ناقل لخرافات قومه، ولا وزن له"⁽⁴¹⁾.

38- محمد رشيد رضا، مقدمة تفسير المنار، دار المنار، القاهرة، ط 2، 1366هـ/1947م، ج 1، ص 9.

39- محمد الغزالي، علل وأدوية، دار الشروق، ص 223.

40- محمد الغزالي، الحق المر، مكتبة نهضة مصر، ط 5، 2005م، ج 5، ص 199.

41- محمد الغزالي، تراثنا الفكري في ميزان العقل والشرع، دار نهضة مصر، القاهرة، ط 1، ص 136.

وعلّق العلامة المحدث الشيخ أحمد محمد شاكر على إحدى مرويات ابن جرير الطبري في تفسيره قائلاً: "هذا الإسناد صحيح، وسواء صح أم ضعف فلا قيمة له، إذ منتهاه إلى كعب الأحبار، وما كان كلام كعب حجة قط في التفسير وغيره...." (42).

وقال في موضع آخر تعليّقاً على رواية رواها إبراهيم بن يزيد النخعي عن كعب الأحبار: "وهذا إسناد واه جداً، والعجب من السيد رشيد رضا في تعليقه على تفسير ابن كثير، ج 4، ص 537 حيث يقول: "من الغريب، أن تبلغ الجرأة بكعب، إلى هذا الحد الباطل، شرعاً وعقلاً ثم يعتدّون بدينه وعلمه ويردون، والغريب هو تحامله على كعب قبل التثبت من إسناد الخبر، وما ذنب كعب إذا ابتلاه بذلك مثل "أبي حمزة الأعور"؟ ولكن هذا ديدن الشيخ، إذا جاء ذكر كعب الأحبار يتهمه بلا بينة" (43).

ومن خلال هاتين الروايتين للشيخ شاكر نلاحظ أنه في الأولى: نفى تماماً أن يكون كعب حجة في التفسير وغيره، مع إقراره بأن الإسناد صحيح. أما في الثانية فيظهر منها: أنه يُدافع عن كعب، بل ويتعجب ويستغرب من السيد رشيد رضا، وتحامله على كعب، والحكم على مروياته قبل التثبت من إسناد الخبر، ولم يكتف بذلك، وإنما يُقرر في صراحة واضحة أن هذا هو موقف السيد رشيد رضا وطريقته مع كعب إذا جاء ذكره؛ يتهمه بلا بينة.

وأما الأستاذ العقاد، فقد قال في عبقرية عمر، حين تحدث عن استشهاد أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه قال: "وقد شاركهم في هذه المؤامرة يهودي مغلوب، تظاهر بالإسلام، وهو المسمى بكعب الأحبار!" وتابع: "ولعله أراد أن يكسب سمعة العلم بالأسرار من علمه بالمؤامرة، فذهب إلى عمر قبل ثلاثة أيام من مقتله، ينذره أن يختار ولي عهده لأنه ميت في ثلاثة أيام..." (44).

وفي موضع آخر قال العقاد عنه وعن وهب بن منبه: "وكلاهما كثير الرواية والنقل عن الكتب الإسرائيلية، ويظن بهما أنها وضعا كثيراً مما رواه" (45).

42- تفسير الطبري، مقدمة التفسير، حققه وعلّق حواشيه: محمود محمد شاكر، راجعه وخرّج أحاديثه: أحمد محمد

شاكر، مكتبة ابن تيمية، القاهرة، المجلد الأول، هامش ص 137.

43- تفسير الطبري المجلد السادس عشر، ص 484، بهامشها.

44- عباس محمود العقاد، عبقرية عمر، (ضمن المجموعة الكاملة لمؤلفات الأستاذ عباس محمود العقاد)، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1391 هـ/ 1971 م، ج 2، ص 526.

45- العقاد، إبراهيم أبو الأنبياء، (المجموعة الكاملة)، دار الكتاب اللبناني، ط 1، 1970 م، ج 1، ص 404.

فالعقاد يرمى كعبًا في نصيه هنا بالتآمر ضمن مجموعة شخصيات أعدت وجهزت لقتل عمر، وبأنه وضاع أدخل في الدين كثيرًا من الروايات الباطلة، وسنرى قريبًا قيمة المرويات التي وردت في هذا الصدد.

ويمكن أن نفهم من عبارة العقاد الأخيرة عن كعب ووهب: "يظن بهما أنها وضعا كثيرًا مما رواه"، أنه استقى الحكم فيها من مقارنة جزئية بين بعض مرويات الرجلين وبين ما طالعه هو في العهد القديم، إلا أننا لا ينبغي أن ننسى أن مصادر الإسرائيليات ليست محصورة في العهد القديم، بل تشمل كل كتب القوم، إضافة إلى مروياتهم الشفهية.

وأما الأستاذ خالد محمد خالد، فقد ذكر في معرض حديثه عن أبي هريرة رضي الله عنه قوله: "إن هناك سببًا هامًا كان له دور كبير في إثارة المتاعب حول أبي هريرة، لكثرة تحدّثه وحديثه، ذلك أنه كان هناك يومئذ يحدث يحدث عن الرسول صلى الله عليه وسلم، ويكثر ويسرف، ولم يكن المسلمون الأصحاب يطمئنون كثيرًا لأحاديثه، ذلك هو "كعب الأخبار" الذي كان يهوديًا وأسلم"⁽⁴⁶⁾.

وعلق الأستاذ شعيب الأرنؤوط على ترجمة الذهبي لكعب الأخبار بقوله: "وقع لكعب رواية في سنن أبي داود، والترمذي، والنسائي، وأخطأ من زعم أنه خرّج له البخاري ومسلم، فإنها لم يسندا من طريقه شيئًا من الحديث، وإنما جرى ذكره في الصحيحين عرضًا، وليس يؤثر عن أحد من المتقدمين توثيق كعب، إلا أن بعض الصحابة أثنى عليه بالعلم"⁽⁴⁷⁾.

وظاهر أن الرجل تعرّض لحملة من أقلام لها وزنها في فكرنا المعاصر، وأن التهم الأساسية الموجهة إليه تتلخص فيما يلي:

أولاً: المشاركة في المؤامرة التي أدت إلى اغتيال الخليفة عمر بن الخطاب رضي الله عنه.

ثانيًا: وضع الأخبار.

أولاً: اتهامه بالمشاركة في قتل عمر:

وهي مروية عند الطبري⁽⁴⁸⁾ في تاريخه: "عن سلم بن جنادة قال: حدثنا سليمان بن عبد العزيز بن أبي ثابت بن عبد العزيز بن عمر بن عبد الواحد بن عوف قال: حدثنا أبي عن عبد الله بن جعفر عن

46- خالد محمد خالد، رجال حول الرسول، دار الفكر، بيروت، 1421هـ/2000م، ص 318.

47- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، هامش ص 490.

48- تاريخ الرسل والملوك، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، دار المعرفة بمصر، ج 4، ص 191-193.

أبيه، عن المسور بن مخرمة... وفيها: أن كعب الأخبار جاء عمر بعد أن توعدده أبو لؤلؤة، فقال له: "يا أمير المؤمنين، اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، قال: وما يدريك؟ قال: أجد في كتاب الله عز وجل التوراة. قال عمر: الله إنك لتجد عمر بن الخطاب في التوراة؟! قال: اللهم لا، ولكني أجد صفتك وحليتك، وأنه قد فني أجلك.

فلما كان الصبح، خرج عمر إلى الصلاة، وكان يوكل بالصفوف رجالاً، فإذا استوت جاء هو فكبر. قال: ودخل أبو لؤلؤة في الناس في يده خنجر له رأسان، نصابه في وسطه، فضرب عمر ست ضربات، إحداهن تحت سرتة، وهي التي قتلتته... وقتل معه كليب بن أبي البكير الليثي، وكان خلفه، فلما وجد عمر حر السلاح سقط، وقال: أفي الناس عبد الرحمن بن عوف قالوا: نعم يا أمير المؤمنين، هو ذا. قال: تقدم فصل بالناس، قال: فصلى عبد الرحمن بن عوف، وعمر طريح، ثم احتمل، فأدخل داره، فدعا عبد الرحمن بن عوف فقال: إني أريد أن أعهد إليك، فقال: يا أمير المؤمنين، نعم، إن أشرت عليّ قبلت منك، قال: وما تريد أنشدك الله، أتشير على بذلك، قال: اللهم لا، قال: والله لا أدخل فيه أبداً، قال: فهب لي صمتا حتى أعهد إلى النفر الذي توفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو عنهم راض، ادع لي علياً وعثمان والزبير وسعداً، قال: وانتظروا أخاكم طلحة ثلاثاً، فإن جاء، وإلا فاقضوا أمركم. أنشدك الله يا علي، إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل بني هاشم على رقاب الناس، أنشدك الله يا عثمان، إن وليت من أمور الناس شيئاً أن تحمل أقاربك على رقاب الناس... وأوصى الخليفة من بعدي بدمه رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن يوفى لهم بعهدهم، اللهم هل بلغت، تركت الخليفة من بعدي على أنقى من الراحة يا عبد الله بن عمر، اخرج فانظر من قتلني، فقال: يا أمير المؤمنين قتلك أبو لؤلؤة غلام المغيرة بن شعبة، قال: الحمد لله الذي لم يجعل منيتي بيد رجل سجد الله سجدة واحدة، يا عبد الله بن عمر، اذهب إلى عائشة، فسلها أن تأذن لي، أن أدفن مع النبي صلى الله عليه وسلم، وأبي بكر، يا عبد الله بن عمر، إن اختلف القوم، فكن مع الأكثر، وإن كانوا ثلاثة، وثلاثة، فاتبع الحزب الذي فيه عبد الرحمن، يا عبد الله: ائذن للناس، قال: فجعل يدخل عليه المهاجرون والأنصار، فيسلمون عليه، ويقول لهم أعن ملاً منكم كان هذا، فيقولون معاذ الله، قال: ودخل في الناس كعب، فلما نظر إليه عمر أنشأ يقول:

فأوعَدني كعب ثلاثاً أعُدّها ولا شك أن القول ما قال لي كعبُ
وما بي حذارُ الموت إني لميت ولكن حذارُ الذنب يتبعهُ الذنبُ

وأمام هذه الرواية التي رويت عن كعب، ورواها ابن جرير الطبري، والتي استدل بها على وقوف كعب على مكيدة قتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه بل على اشتراكه فيها، ثم وضعها هو في الصيغة الإسرائيلية، ليدفع عن نفسه التهمة ولينال ثقة المسلمين فيما يخبرهم به عن التوراة وغيرها. والحق أن هذه الرواية باطلة لا تصح لأسباب:

منها: أن النقد الداخلي والخارجي لا يبقيان للرواية منفذا للاحتجاج بها، فأما من جهة النقد الداخلي، فإن عبد العزيز بن أبي ثابت متروك الرواية⁽⁴⁹⁾، وأما النقد الخارجي، فما كان عمر رضي الله عنه بهذه الغرارة، كما احتوت الرواية ثناء خاصاً على عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه جد الراوي الذي ترد فيه الشبهة.

ومنها: ما رواه أحد⁽⁵⁰⁾ الباحثين بقوله: "إن أول ما يواجهه الباحث هنا هو موقف عبيد الله بن عمر، الذي لم يكذب بما حدث لأبيه حتى يحمل سيفه، ويهيج كالسبع، ويقتل المهرمان وجفينة وابنة صغيرة لأبي لؤلؤة، أفترى عبيد الله هذا يترك كعب الأحبار والشبهة تحوم حوله، ويقتل ابنة أبي لؤلؤة الصغيرة؟!".

ويضاف إلى ذلك أن جمهور المؤرخين لم يذكروا القصة، بل لم يشيروا إليها، فابن سعد في الطبقات، قد فصل حادث اغتيال أمير المؤمنين تفصيلاً دقيقاً، لم يشر قط إلى تلك الحادثة، بل كل ما ذكره عن كعب الأحبار في سياقها هو أنه كان واقفاً بباب عمر يبكي ويقول: "والله لو أن أمير المؤمنين يقسم على الله أن يؤخره لأخره"، وأنه دخل على عمر بعد أن أخبره الطبيب بدنو أجله فقال: "ألم أقل لك: إنك لا تموت إلا شهيداً، وأنت تقول: من أين وأنا في جزيرة العرب"⁽⁵¹⁾، ويأتي بعد ابن سعد ابن عبد البر في الاستيعاب فلا يذكر شيئاً قط عن قصة كعب الأحبار، وأما ابن كثير فيقول: إن وعيد أبي لؤلؤة كان عشية

49 - قال الذهبي في الكاشف: "عبد العزيز بن عمران بن عبد العزيز بن عمر، بن عبد الرحمن بن عوف، وهو عبد العزيز بن أبي ثابت المدني الأعرج... تركوه، توفي سنة 197هـ"، الكاشف في معرفة من له رواية في الكتب الستة، وحاشيته للإمام برهان الدين أبي الوفاء لإبراهيم بن محمد سبط بن العجمي الحلبي. قابلها بأصل مؤلفيتها وقدم لها، وعلق عليها محمد عوامة، خرّج نصوصها أحمد محمد نمر الخطيب، مؤسسة علوم القرآن، جدة، الطبعة الأولى 1413هـ/1992م، ج 1، ص 657.

50 - محمد السيد الوكيل، جولة تاريخية في عصر الخلفاء الراشدين، ص 296 نقلاً عن علي الصلابي، فصل الخطاب في سيرة أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه، دار الإبان، الإسكندرية، 2002م، ص 743-745.

51 - المصدر السابق، ج 3، ص 335.

يوم الثلاثاء، وإنه طعنه صبيحة يوم الأربعاء لأربع بقين من ذي الحجة، لم يكن إذن بين التهديد والتنفيذ سوى ساعات معدودات، فكيف ذهب كعب الأبحار إلى عمر؟ وقال له ما قال: اعهد فإنك ميت في ثلاثة أيام، ثم يقول: مضى يوم، وبقي يومان، ثم مضى يومان، وبقي يوم وليلة، من أين لكعب هذه الثلاثة إذا كان التهديد في الليل والتنفيذ صبيحة اليوم التالي؟!

وفي رواية: أنه استأذن عمر رضي الله عنه، للجهاد في بلاد الشام⁽⁵²⁾ تعني: أن كعباً كان في بلاد الشام عند مقتل الخليفة الراشد الثاني، ما يزيد في ضعف الروايات التي ترميه بالمشاركة في المؤامرة. ويتوالى المؤرخون فيأتي السيوطي في تاريخ الخلفاء والعصامي في سمط النجوم العوالي وحسن إبراهيم حسن في تاريخ الإسلام السياسي وغيرهم، فلا نجد واحداً منهم يذكر القصة من قريب أو بعيد، أليس هذا دليلاً على أن القصة لم تثبت بصورة تجعل المحقق يطمئن إلى ذكرها، هذا إذا لم تكن منتحلة مصنوعة كاد بها بعض الناس لكعب، لينفروا منه المسلمين، وهذا ما تطمئن إليه النفس ويميل إليه القلب، وخاصة بعد ما عرفوا أن كعباً كان حسن الإسلام، وكان محل ثقة كثير من الصحابة حتى رووا عنه حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم⁽⁵³⁾.

والادعاء كذلك بأنه وضعها في هذه الصيغة الإسرائيلية ليدفع عن نفسه التهمة، ولينال ثقة المسلمين فيما يخبرهم به عن التوراة وغيرها، كل ذلك مردود عليه بأن ابن جرير وغيره من المؤرخين لم يلتزموا الصحة فيما يتقلون ويحكون، ولذا تجد في كتبهم الضعيف والموضوع، والباحث المنصف إذا نقل خبراً من هذه الكتب ينبغي أن يمحصه سنداً وامتناً، ولا يأخذه قضية مسلمة. ونحن إذا نظرنا في هذه القصة لا نشك في أنها تشهد على نفسها بالكذب والاختلاق وذلك لأسباب:

- 1- أنها لو كانت في التوراة لما اختص بعلمها كعب وحده، ولكن كان يشاركه العلم بها أمثال عبد الله بن سلام ممن لهم علم بالتوراة.
- 2- أنها لو صحت لكان المنتظر من عمر حينئذ كما هو المعهود عنه ألا يكتفي بقول كعب، ولكن يجمع طائفة ممن أسلم من أهل الكتاب، ولهم إحاطة بالتوراة، ويسألهم عن هذه القصة، ولو فعل لافتضح أمر كعب، وظهر للناس كذبه، ولتبين لعمر أنه شريك في مؤامرة دبرت لقتله، أو

52- سبق ذكرها في هذا البحث.

53- محمد السيد الوكيل، المرجع السابق، ص 296 نقلاً عن علي محمد الصلابي، المصدر السابق، ص 743-745.

أنه على علم بها، وحينئذ يعمل عمر على الكشف عنها بشتى الوسائل، وينكل بمدبريها ومنهم كعب، هذا المنتظر من أي حاكم عادي يقال له مثل ذلك، فضلاً عن عمر المعروف بكامل الفطنة، وحدة الذهن، وتمحيص الأخبار، لكن شيئاً من ذلك لم يحدث، فكان ذلك دليلاً على اختلاقها.

3- لو أن هذه القصة صحت لكان معناها أن كعباً له يد في المؤامرة، وأنه يكشف عن نفسه بنفسه، وذلك باطل لمخالفته طباع الناس، إذ المعروف أن من اشترك في مؤامرة يبالغ في كتمانها بعد وقوعها، تفادياً من تحمل تبعاتها، ويشدد حرصه، وتزداد مبالغته في الكتمان قبل وقوعها، حرصاً على نجاحها، فالكشف عن المؤامرة قبل وقوعها لا يكون إلا من مغفل أبله، وهذا خلاف ما كان عليه كعب، من حدة الذهن، ووفرة الذكاء.

4- ثم ما للتوراة وتحديد أعمار الناس وتاريخ وفياتهم؟ إن الله تعالى إنما أنزل الكتب نوراً وهدى للناس، لا لمثل هذه الأخبار التي لا تعدو أصحابها (54).

ومن ذلك كله، يتبين لنا أن هذه القصة مفتراة، بدون أدنى شك، وأن رمى كعب بالكيد للإسلام في شخص عمر، والكذب في النقل عن التوراة اتهام باطل لا يستند إلى دليل أو برهان.

ثانياً: وضع الأخبار:

أما التهمة الثانية التي ألحقت بكعب، وهي وضع الأخبار، فهي مما لم يثبت القائلون بها في شأنها، وذلك لأسباب:

منها: أن إسلام كعب كان فوق التهمة والكذب، وقد رُفِعَ إلى درجة أهل العلم الموثوق بهم (55).

ومنها: أن هناك من الشواهد الكثيرة، ما يشهد لكعب بصدق إسلامه، وقوة إيمانه، فقد أسلم على الراجح في خلافة عمر رضي الله عنه وسكن المدينة، وصحب عمر وروى عنه، وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم، ولكن مرسلًا؛ لأنه لم يلق النبي صلى الله عليه وسلم، وروى عنه من الصحابة: معاوية، وأبو هريرة، وابن عباس، وبقية العبادلة، وشارك في غزو الروم في خلافة عمر، وعمر قد كان

54- محمد محمد أبو زهو، الحديث والمحدثون، مطبعة مصر، القاهرة، ط 1، 1378هـ/ 1958م، ص 182-183.

55- حسن إبراهيم حسن، تاريخ الإسلام السياسي والديني والثقافي والاجتماعي، مكتبة النهضة المصرية، الطبعة

الخامسة، 1979م، ج 1، ص 514.

عبريًا ملهمًا، فلا يُصدّق عاقل أن يساكن كعبا في المدينة ويصاحبه ويكتبه في جيش المسلمين لغزو الروم، وهو مخدوع في إسلامه، مخدوع في صدقه، وصحة روايته.

ومنها: أن معاوية رضي الله عنه أثنى على نفر من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم والتابعين، منهم كعب الأخبار، فقال: "ألا إن أبا الدرداء أحد الحكماء، ألا إن كعبًا أحد العلماء، إن كان عنده لعلم كالبحار، وإن كنا فيه لمفرطين" (56) ووصفه أبو نعيم الأصفهاني بقوله: "الخبز، صاحب الكتب والأسفار، المثير للمكتوم والأسرار، والمشير إلى المشاهد والآثار..." (57) "وكان خبيرًا بكتب اليهود له ذوق في معرفة صحيحها من باطلها في الجملة" (58).

ومنها: أنه كان على مبلغ عظيم من العلم، وكان له بالثقافة اليهودية والإسلامية معرفة واسعة، ولغزارة علمه، وكثرة معارفه، لهج بعض أعلام الصحابة بالثناء عليه، فقال عنه أبو الدرداء رضي الله عنه: "إن عند ابن الحميرية لعلمًا كثيرًا" (59).

ومنها: أن جمهور العلماء متفقون على توثيق كعب، ولذا فإننا لا نجد له ذكرًا في كتب الضعفاء والمتروكين، وما يحق لمنصف أن يחדش عدالته، أو يشك في كونه ثقة، بعد ما ثبت من رواية أعلام الصحابة عنه أو غيرهم ممن رووا عنه أنهم لم يكونوا سذجًا، ولا مخدوعين فيه، وإنما أيقنوا أنه صدوق فيما يروى، فرووا عنه، لذلك قال عنه ابن حجر في التقریب: "ثقة مخضرم" (60). وأورده ابن سعد (61) وغيره في الطبقة الأولى من تابعي أهل الشام، وكذلك إذا كان مسلم بن الحجاج قد أخرج له في صحيحه، وأخرج له أبو داود، والترمذي، والنسائي وغيرهم (62)، فهذا دليل على أن كعبًا كان ثقة غير متهم عند هؤلاء جميعًا.

-
- 56- ابن حجر، الإصابة في تمييز الصحابة، ج 5، ص 323.
- 57- أبو نعيم أحمد بن عبد الله الأصفهاني، حلية الأولياء وطبقات الأصفياء، دار الكتب العلمية، بيروت، ط 1، 1409هـ/1988م، ج 5، ص 364.
- 58- الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 323.
- 59- ابن سعد، المصدر السابق، ج 9، ص 449، ابن عساكر، المصدر السابق، ج 50، ص 154، النووي، المصدر السابق، ج 2، ص 68-69، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 471.
- 60- تقريب التهذيب، تحقيق: أبي الأشبال، أحمد شاغف، دار العاصمة، الرياض، ط 1، 1416هـ، ص 812.
- 61- المصدر السابق، ج 9، ص 449، ابن عساكر، المصدر السابق، ج 50، ص 154، المزني، المصدر السابق، ج 24، ص 190، أبو المحاسن، المصدر السابق، ج 1، ص 116.
- 62- الصفدي، المصدر السابق، ج 24، ص 260، الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج 3، ص 490، محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، مكتبة وهبة، القاهرة، ط 5، 1425هـ/2004م، ص 74-76.

ويذكر الدكتور محمد أبو شهبة كعبًا بقوله: "إن بعض الإسرائيليات قد يصح السند إليها"، ويتابع: "ولعل قائلًا يقول: أما احتمال أن تكون هذه الروايات الإسرائيلية مختلفة، موضوعة على بعض الصحابة والتابعين، فهو إنما يتجه في الروايات التي في سندها ضعيف أو مجهول، أو وضاع، أو متهم بالكذب، أو سعى الحفظ، يخلط بين المرويات، ولا يميز، أو نحو ذلك، ولكن بعض هذه الروايات حكم عليها بعض حفاظ الحديث بأنها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو إسنادها جيد، أو ثابت ونحو ذلك، فماذا تقول فيها؟!"

والجواب: أنه لا منافاة بين كونها صحيحة السند، أو حسنة السند، أو ثابتة السند، وبين كونها من إسرائيلييات بني إسرائيل، وخرافاتهم، وأكاذيبهم، فهي صحيحة السند إلى ابن عباس، أو عبد الله بن عمرو بن العاص، أو إلى مجاهد، أو عكرمة، أو سعيد بن جبير وغيرهم، ولكنها ليست متلقاة عن النبي صلى الله عليه وسلم لا بالذات، ولا بالواسطة، ولكنها متلقاة عن أهل الكتاب الذين أسلموا، فثبوتها إلى من رويت عنه شيء، وكونها مكذوبة في نفسها أو باطلة، أو خرافة شيء آخر، ومثل ذلك: الآراء والمذاهب الفاسدة اليوم، فهي ثابتة عن أصحابها، ومن آرائهم، ولا شك، ولكنها في نفسها باطلة أو مذهب فاسد، ثم يتابع أيضاً بقوله: "إن رواية الكذب ليس معناه أنه هو الذي اختلقه: وأحب أن أنه هنا إلى حقيقة، وهي: أنه ليس معنى أن هذه الإسرائيليات المكذوبات والباطلات مروية عن كعب الأخبار، ووهب بن منبه، وعبد الله بن سلام، وأمثالهم أنها من وضعهم واختلاقهم، كما زعم ذلك بعض الناس اليوم، وإنما معنى ذلك: أنهم هم الذين رووها، ونقلوها لبعض الصحابة والتابعين، من كتب أهل الكتاب ومعارفهم، وليسوا هم الذين اختلقوها، وإنما اختلقها، وافتجرها أسلافهم القدماء، ولم يقل أحد من أئمة الجرح والتعديل على حصافتهم، وبعد نظرهم إن كعبًا، ووهبًا، وعبد الله بن سلام، وتميم الداري، وأمثالهم كانوا وضاعين، يتعمدون الكذب والاختلاق من عند أنفسهم، وإنما الذي قالوه عنهم: إنهم كانوا هم الوساطة في حمل ونقل معارف أهل الكتاب إلى المسلمين، وأن البعض رواها عنهم، فليس الذنب ذنبهم، وإنما الذنب ذنب من نقلها ورواها عنهم، من غير بيان لكذبها وبطلانها"⁽⁶³⁾.

ومنها: أن أصحاب الرأي الذي يتهم كعبًا بوضع الأخبار استدلووا بقول معاوية رضي الله عنه عن كعب: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"،

63 - الإسرائيليات والموضوعات في كتب التفسير، مكتبة السنة مجمع البحوث الإسلامية، القاهرة، ط1، 1393هـ،

وأن عمر بن الخطاب رضي الله عنه كان ينهيه عن التحديث، ويقول: "لتركن الحديث عن الأول، أو لألحقنك بأرض القردة" (64).

أما عن ذكر معاوية لكعب، وقوله عنه: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب، وإن كنا مع ذلك لنبلو عليه الكذب"، فظاهر هذا الكلام من معاوية رضي الله عنه يخدم كعباً في بعض مروياته، ولكنه لا يدل على ما ذهب إليه المتهمون لكعب من أنه كان وضّاعاً. ونحن لو رجعنا إلى شُراح قول معاوية رضي الله عنه لوجدناهم جميعاً يشرحونه بما يُبعد هذه الوصمة الشنيعة عن كعب الأخبار، وهذه أقوالهم.

قال ابن حجر في الفتح: وقوله: "عليه الكذب" أي: يقع بعض ما نخبرنا عنه بخلاف ما نخبرنا به، قال ابن التين: وهذا نحو قول ابن عباس في حق كعب المذكور: "بدل من قبله فوقع في الكذب"، قال: والمراد بالمحدثين في قوله: "إن كان من أصدق هؤلاء المحدثين الذين يحدثون عن أهل الكتاب" أئداد كعب ممن كان من أهل الكتاب، وأسلم، فكان يحدث عنهم، وكذا من نظر في كتبهم فحدث عما فيها، قال: ولعلمهم كانوا مثل كعب، إلا أن كعباً كان أشد منهم بصيرة، وأعرف بما يتوقاه.

وقال ابن حبان في كتاب الثقات: أراد معاوية أن يخطئه أحياناً فيما يخبر به، ولم يرد أنه كان كذاباً، وقال غيره: الضمير في قوله: "لنبلو عليه" للكتاب لا لكعب، وإنما يقع في كتابهم الكذب لكونهم بدّلوه وحرّفوه. وقال عياض: يصح عوده على الكتاب، ويصح عوده على كعب، وعلى حديثه، وإن لم يقصد الكذب ويتعمده، إذ لا يشترط في مسمى الكذب التعمد، بل هو الإخبار عن الشيء بخلاف ما هو عليه، وليس فيه تجريح لكعب بالكذب.

وقال ابن الجوزي: المعنى: أن بعض الذي يخبر به كعب عن أهل الكتاب يكون كذاباً، لا أنه يتعمد الكذب، وإلا فقد كان كعب من أختيار الناس (65).

64 - ابن عساكر، المصدر السابق، ج 50، ص 169، 172، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، البداية والنهاية، تحقيق: عبد الله بن عبد المحسن التركي بالتعاون مع مركز البحوث والدراسات العربية والإسلامية بدار هجر، ط 1، 1417هـ/1997م، ج 3، ص 37، ابن حجر، تهذيب التهذيب، ج 3، ص 471، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الاعتصام بالكتاب والسنة، باب لا تسألوا أهل الكتاب عن شيء، ج 13، ص 333، رقم: 7361.

65 - محمد بن إسماعيل أبو عبد الله البخاري، الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله صلى الله عليه وسلم وسننه وأيامه، تحقيق: محمد زهير بن ناصر الناصر، دار طوق النجاة، دمشق، ط 1، 1422هـ، ص 111، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، ج 13، ص 334-335.

ونضيف إلى ما سبق: أن معاوية الذي قال هذا القول هو نفسه الذي قال: "ألا إن كعب الأخبار أحد العلماء، وإن كان عنده علم كالنهار، وإن كنا لمفرطين" فمعاوية رضي الله عنه قد شهد له بالعلم وغزارته، وحكم على نفسه بأنه فرط في علم كعب، فهل يُعقل أن معاوية يشهد هذه الشهادة لرجل كذاب؟! وهل يُعقل أن يتحسر ويندم على ما فاته من علم رجل يدلس في كتب الله، ويحرف في وحي السماء؟! (66)

أما عن قول عمر رضي الله عنه له: "لتركن الحديث عن الأول لألحقنك بأرض القردة"، فقد اجتمعت الأخبار على أن عمر رضي الله عنه كان يتشدد في الرواية، وأنه كان ينهى المحدثين عن كثرة التحديث، وقد كان لذلك عدة أسباب:

- 1- الخوف على السنة التي كانت تُنقل مشافهة من أن يتسرب إليها خطأ، أو تحريف غير مقصود عن طريق النسيان، أو خطأ السماع أو الفهم، أو عدم الدقة في النقل.
 - 2- الخوف من أن يتسرب الكذب والتدليس المتعمدان إلى السنة إذا أبيض الإكثار من روايتها بين الناس بدون قيود، وعمر لم يتهم جمهور الصحابة، ولكن من قال: إن أي مجتمع قد خلا من المنافق والفاجر الذي يسعى إلى أغراض فردية، ولو عن طريق الكذب على رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ أو لم يحذر الرسول صلى الله عليه وسلم نفسه من تعمد الكذب عليه، وتهدد الكذابين بالنار؟!، لذا كان الحرص على السنة من دخول الخطأ أو الكذب عليها من الأسباب القوية التي دعت عمر إلى توجيه المسلمين للإقلال من روايتها، والتشدد في ذلك.
 - 3- الحرص على ألا يستكثر الناس من رواية الأحاديث فينتشر ذلك في مجالسهم، فيشتغلوا به عن العكوف على آيات القرآن الكريم، وهذا السبب نفسه هو الذي دعا عمر ومن قبله الرسول صلى الله عليه وسلم وأبا بكر إلى عدم تدوين السنة (67).
- لهذه الأسباب، كان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ينهى المحدثين عامة عن كثرة التحديث، وكان ذلك حرصاً منه، وحفاظاً على الدين، وليس تهمة لأحد.
- لذا فإن ما روى من أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه نهى كعب الأخبار عن التحديث، لم يكن موقفاً خاصاً من عمر مع كعب لآثامه، وإنما كان مخافة التشويش على عقائد العامة وأفكارهم، لعدم تمييزهم بين الحق والباطل، مما يحدث به من أخبار الأول.

66- محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 82.

67- محمد بلتاجي، منهج عمر بن الخطاب في التشريع، دار السلام، القاهرة، ط2، 1424هـ/ 2003م، ص 95-98.

ويشير الدكتور محمد حسين الذهبي إلى هذا بقوله: "ولعل سر نهيه يقصد عمر لكعب عن الحديث عن الأول، ونهيه لأبي هريرة عن الحديث، عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، أن أبا هريرة كان يُحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم بما سمعه منه، وعن كعب بما يحدثه به، فخاف أن يخلط الناس بين حديث الرسول صلى الله عليه وسلم وحديث كعب، فقد روى بكير بن الأشج قال: قال لنا بشر بن سعيد: "اتقوا الله، وتحفظوا من الحديث، فوالله، لقد رأيتنا نجالس أبا هريرة، فيحدث عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، ويحدثنا عن كعب، ثم يقوم، فأسمع بعض من كان معنا يجعل حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم عن كعب، وحديث كعب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم" (68).

ومنها: أن كثيرًا من الإسرائيليات دخلت في الإسلام عن طريق أهل الكتاب الذين أسلموا، وأنهم نقلوها بحسن نية، وكذلك لا ينكر أحد أثرها السيئ في كتب العلوم وأفكار العوام من المسلمين، وما جرت به على الإسلام من طعون أعدائه، ظنا منهم أنها منه والإسلام منها براء، ولكن الذي لا يُسلم به الباحث أن يكون كعب الأخبار وأضرابه ممن أسلموا، وحسن إسلامهم، كان غرضهم الدس والاختلاق والإفساد في الدين، وأن الذي نظمته إليه أن ما كان يرويه كعب وغيره من مسلمي أهل الكتاب من الإسرائيليات لم يسندوه إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، ولم يكذبوا فيه على أحد من المسلمين، وإنما كانوا يروونه على أنه من الإسرائيليات الموجودة في كتبهم، ولسنا مكلفين بتصديق شيء من ذلك، ولا مطالبين بالإيمان به بعد ما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "لا تصدقوا أهل الكتاب، ولا تكذبوهم" (69)، وعليه: فإن كانت قد وقعت في بعض مرويات كعب إسرائيليات مكذوبة، أو خرافات، فذلك إنما يرجع إلى من نقل عنهم من أهل الكتاب السابقين الذين بدّلوا وحرفوا، وإلى بعض الكتب القديمة التي ملئت بالخرافات والإسرائيليات (70).

رواية الثقات عن كعب:

من أقوى وجوه الدفاع عن كعب اعتماد علماء الحديث له راويًا صدوقًا مقبول الرواية، فقد نقل النووي عن كعب، وترجم له في شرحه على مسلم عند شرح حديث "لكل نبي دعوة" (71).

68- محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 76.

69- ابن كثير، البداية والنهاية، ج 3، ص 34، ابن حجر، فتح الباري بشرح صحيح البخاري، كتاب الشهادات، باب لا يسأل أهل الشرك عن الشهادة وغيرها، ج 5، ص 291-292، محمد حسين الذهبي، الإسرائيليات في التفسير والحديث، ص 78.

70- محمد أبو شهبة، دفاع عن السنة، مكتبة السنة، القاهرة، ط 2، 1428هـ/2007م، ص 80.

71- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، كتاب الإيمان، باب اختباء النبي صلى الله عليه وسلم، دعوة الشفاعة لأُمَّته، المطبعة المصرية، القاهرة، ط 1، 1347هـ/1929م، ج 3، ص 75.

وقال: "هو من فضلاء التابعين، وقد روى عنه جماعة من الصحابة رضي الله عنهم⁽⁷²⁾، كما نقل عنه النووي أيضاً في المجموع في موضعين⁽⁷³⁾."

وروى الإمام ابن قتيبة رحمه الله رواية كعب في غريب الحديث تحت عنوان: "أحاديث التابعين ومن بعدهم"⁽⁷⁴⁾ وروى عنه: أبو هريرة وغيره، بل إن المزي جمع الذين روى عنه فتعدى عددهم ثلاثين راوياً⁽⁷⁵⁾.

وروى عنه البيهقي في السنن الكبرى في باب: من شك في صلاته فلم يدرأ ثلاثاً صلى أم أربعاً قال: "أخبرنا عبدالله بن محمد بن الحسن العدل أنبأ أبو بكر بن جعفر المزكي حدثنا مالك عن عفيف بن عمرو السهمي عن عطاء بن يسار أنه قال: سألت عبدالله بن عمرو العاص وكعب الأبحار عن الذي يشك في صلواته، فلا يدري أثلاثاً صلى أم أربعاً؟ فكلاهما قال: فليقم فليصل ركعة أخرى، وليسجد سجدتين إذا صلى"⁽⁷⁶⁾.

وكذلك مالك بن أنس⁽⁷⁷⁾ وروى عنه الترمذي⁽⁷⁸⁾ في كتاب القراءات باب سورة الكهف. وهنا أشير إلى نقطتين هامتين يبدو لي أنهما ألقيا بظلالهما في التحامل المعاصر على كعب الأبحار واتهامه سواء بالتأمر أو وضع الأخبار، وهما.

الأولى: أن التأثير السياسي في علاقة اليهود بالمسلمين على مر العصور ربما يكون قد ألقى بظلاله على كتابات العلماء والمفكرين المعاصرين نتيجة لمواقف اليهود في كيدهم المتواصل للإسلام، في الوقت الذي لا يُنكر أحد أن لليهود دوراً في كل فتنة وحدث يضر بالمسلمين، وإن لم يكن هذا الحدث من صنعهم

-
- 72- النووي، صحيح مسلم بشرح النووي، ج 3، ص 76.
- 73- النووي، المجموع شرح المذهب، دار الفكر، بيروت، ج 4، ص 549، ج 7، ص 331-332.
- 74- ابن قتيبة، غريب الحديث، تحقيق: عبد الله الجبوري، مطبعة العاش، بغداد، ط 1، 1397هـ، ج 2، ص 499.
- 75- المزي، المصدر السابق، ج 24، ص 189-190.
- 76- أبو بكر أحمد بن الحسين بن علي البيهقي، السنن الكبرى، مطبعة دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد الدكن، الهند، ط 1، 1346هـ، ج 2، ص 333.
- 77- هو مالك بن أنس بن عامر بن عمر بن الحارث، موطأ مالك، تحقيق: محمد مصطفى الأعظمي، مؤسسة زايد بن سلطان آل نهيان، أبوظبي الإمارات، ط 1، 1425هـ/2004م، ج 2، ص 132.
- 78- أبو عيسى محمد بن عيسى سورة الترمذي، الجامع الصحيح (سنن الترمذي)، تحقيق وتعليق: إبراهيم عطوه عوض، مطبعة مصطفى الحلبي، القاهرة، ط 2، 1395هـ/1975م، ج 5، ص 188.

ابتداءً لكنهم يوقدون، ولو بعد حين، وهذا ما جعل بعض الكتاب والباحثين يذهبون إلى أن اليهود هم وراء كل الفتن والأحداث، والدس والتفريق بين المسلمين، ومحاولة إفساد عقيدتهم وأخلاقهم، فالعامل السياسي يؤثر أحياناً على أعلام بعض الكتاب والمفكرين، وهذا ما لاحظته في كتابات وآراء من تحاملوا على كعب الأخبار، واتهموه بالمشاركة في مقتل عمر بن الخطاب رضي الله عنه ووضع الأخبار والاختلاق.

الثانية: أنه مع تقديري البالغ للعلماء والمفكرين المذكورين وإسهاماتهم في الفكر المعاصر، إلا أنه يبدو أن السبب الرئيسي في موقف كثير من هؤلاء من كعب وتحاملهم عليه، أنهم ربما يرجع إلى عدم تخصصهم في علوم التفسير والحديث هو ما دفعهم إلى ذلك، خاصة أننا وجدنا، ومن خلال هذه الدراسة، أن بعضاً من مفكري علماء التفسير والحديث المتخصصين قد أنصفوا كعباً، وأبعدوا عنه هذه التهم، وذلك من خلال كتاباتهم التي اعتمدوا فيها على أقوال، وآراء المتقدمين، والمتأخرين من علماء الجرح والتعديل.

K'ab al- Aḥbār between Allegation and Fair Treatment.

This paper investigates the early biographical details and attempts to assess the position of K'ab al-Aḥbār as an authentic source of a large number of reports that find place in the Islamic annals. It takes up a critical assessment of highly skeptical, even inculpatory treatment of this personality by a number of people especially in recent times. The writer throws some light on his late acceptance of Islam and pleads for a more objective treatment of K'ab al-Aḥbār. According to the writer, a number of allegations levelled by current writers are without sufficient evidence.
